مجلة العلوم الاجتماعية
المجلد 08 / العـدد: 02 مكرر (الجزء الأول) / جويلية 2019 / ص ص 55 - 67
عدد خاص بالملتقى الوطني الأول: مشروع أسلمة المعرفة، مبرراته وإشكاليات تطبيقه

البحث اللساني الحديث في ظل أسلمة المعرفة، عبد الرحمن الحاج صالح أنموذجا

Modern linguistic research under the Islamization of knowledge Abdul Rahman al-Haj Saleh as a model

د. مختار حسيني[1]، أ. عبد القادر جعيد[2]

[1] مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط(الجزائر)، mokhtarhoceini@hotmail.fr

[2] مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط (الجزائر)، janadjaid@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/06/12 تاريخ القبول: 2019/06/15 تاريخ النشر: 2020/02/08

ملخص:

صاغ عالم اللسانيات الجزائري "عبد الرحمن الحاج صالح"، نظرية نحوية، سماها "النظرية الخليلية الحديثة"، تتجه إلى إعادة قراءة التراث اللغوي العربي الأصيل، والبحث في خفاياه، ليس انتصارا للقديم، ولا هدما للحديث، ولكن سعيا إلى التنبيه على الطفرة العلمية والخصوصية المعرفية الإسلامية التي تميزت بها بحوث "سيبويه"، وشيخه "الخليل بن أحمد الفراهيدي"، وتلاميذه في تاريخ علوم اللسان البشري، بعد أن تحامل عليهم ثلة من الدارسين المحدثين، الذين تأثروا بالمناهج الغربية الحديثة، ليقدم بذلك هذا العالم نموذجا لاستثمار نتائج البحث الغربية في قراءة التراث، قراءة تصبغ المنهج بصبغة إسلامية، تحفظ للتراث خصوصيته، وتضفي عليه العصرنة في آن معا، ولا تحيله نسخة مشوهة عن دراسات الغرب، بإخراجه من منظومته الفكرية، التي سيفقد خارجها مقومات الاستمرار. ويعالج البحث إشكالية علاقة هذه النظرية بالتراث اللغوي العربي في إطار ما يسمى اليوم بأسلمة المعرفة، وذلك من خلال أهم مفاهيمها؛ مثل: مفهوم المثال، والموضع والعلامة العدمية ومفهوم اللفظة، والانفصال والابتداء، والأصل والفرع، وصولا إلى التأكيد على تأصيل المفاهيم وأسلمتها في فكر عبد الرحمن الحاج صالح. وذلك بما تتيحه آليات المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، المتبعة في هذه الدراسة.

كلمات مفتاحية: لسانيات، أسلمة، معرفة، تراث، عصرنة.

Abstract:

The Algerian linguist Abdulrahman al-Hajj Salih Formulated a grammatical theory "Modern theory Al khaliliat", is aiming to re-read the original Arabic linguistic heritage. This is not a victory for the old, and no purpose to talk, but to seek to alert on scientific breakthrough and Islamization knowledge, which was characterized by the research "Sebwayh", and "khalil bin Ahmed Al-Farahidi",

المؤلف المرسل: مختار الحسيني، **الإيميل:**mokhtarhoceini@hotmail.fr

and his disciples, In the history of the science of the human tongue, after the injustice of some modern scholars, Who were influenced by modern Western approaches, Thus presenting the scientist as a model for investing the results of Western research into heritage reading, Reading the printing of the syllabus in Islamic language, preserving the heritage of its privacy, and adding to it the modernity at the same time. The research tackles the problematic relationship between this theory and the Arab linguistic heritage within the framework of what is today called the Islamization of knowledge, through the most important concepts such as: the concept of example, the position, the concept of the word, origin and branch, to emphasize the rooting concepts and Islamism in the thought of Abd Rahman Al Haj Saleh. As allowed by the mechanisms of the descriptive approach, and the analytical approach used in this study.
Keywords: Linguistics, Islamization, knowledge, heritage, modernity.

مقدمة:

إن استصحاب مناهج التفكير اللساني الحديثة لدراسة التراث الفكري اللغوي القديم عملية لا تخلو من مغامرة، فكثيرا ما يؤدي هذا الفعل إلى نوع من الاختزال التاريخي والسياقي، الذي يؤدي بدوره إلى إصدار الأحكام المتسرعة على منظومة فكرية لها ظروف نشأتها الخاصة، ولها خصائصها المعرفية، وعواملها العلمية المتميزة، التي يجب أن لا تقاس معزولة عن سياقها المعرفي بمقاييس عصر مختلف، وفي الوقت نفسه يجب أن لا يُغفل عصر التلقي الذي وصل فيه العلم والبحث المنهجي إلى مرحلة لم يعد ممكنا معها أن تغفل نتائجه ويكتفى فيه بنتائج السابقين، لذلك نجد في الوقت الراهن كثيرا من محاولات التجديد للنحو العربي في التراث، خاصة في المفاهيم الوصفية؛ مثل المبتدأ والخبر، والجملة الاسمية، والنواسخ، ونظرية العامل، وغيرها.

واللسانيات بوصفها العلم الذي يدرس اللغة بمعناها العلمي الدقيق، لم تلج بشكل جدي إلى عالمنا العربي إلا مطلع الأربعينيات من القرن العشرين، أين واجه البحث فيها عددا من الإشكالات المنهجية، التي وقفت عائقا في الطريق، وحالت دون ظهور بحوث جدّية في هذا الميدان، ووقع الباحثون العرب في أزمة منهجية، أدت إلى بروز تصورات خاطئة لكثير من القضايا النظرية.

أدت هذه الأزمة المنهجية إلى تباين في المواقف لدى الباحثين العرب، ففي الوقت الذي أصرّ فيه بعضهم على التزام المناهج القديمة الموروثة، باعتبار العلاقة الوطيدة التي تربط أساسيات البحث وأصوله بمصادر هذه الأصول، نجد فئة أخرى من الباحثين قد انساقت وراء نتائج البحث اللساني الحديث ومناهجه، أمثال الباحث المصري تمام حسان الذي رفض عددا من المفاهيم التراثية بناء على مبدأ العلمية والوصفية المعاصرين، فرفض نظرية العامل ومبدأ العلة والإعراب التقديري، وذهب إلى أن العلم يقتضي الاكتفاء بالوصف، والتساؤل عن "الكيف"، ولا يمكنه

محاولة الإجابة عن "لماذا"، أو التعليل بشيء لم تثبته الملاحظة. ورفض آخرون من الصنف القول بخصوصية اللغة العربية، لأنها في تصورهم لغة كسائر اللغات الأخرى، بوصفها واحدة من مجموع اللغات الطبيعية، تشترك معها في المبادئ اللغوية العامة؛ الصوتية منها والتركيبية والدلالية، وأنها لا تتفرد بخصائص تفتقدها اللغات الأخرى.

إلا أننا نجد صنفا ثالثا من الدارسين، على رأسهم الجزائري "عبد الرحمن الحاج صالح"، الذي صاغ نظرية نحوية، سماها "النظرية الخليلية الحديثة"، تتجه إلى إعادة قراءة التراث اللغوي العربي الأصيل، والبحث في خفاياه، ليس انتصارا للقديم، ولا هدما للحديث لحداثته، ولكنهاتسعى إلى التنبيه على الطفرة العلمية والخصوصية المعرفية الإسلامية التي تميزت بها بحوث "سيبويه"، وشيخه "الخليل بن أحمد الفراهيدي"، وتلاميذه في تاريخ علوم اللسان البشري، بعد أن تحامل عليهم ثلة من الدارسين المحدثين، الذين تأثروا بالمناهج الغربية الحديثة، ليقدم بذلك هذا العالم نموذجا لتجسيد استثمار نتائج البحث الغربية في قراءة التراث، قراءة تصبغ المنهج بصبغة إسلامية، تحفظ للتراث خصوصيته، وتضفي عليه العصرنة في آن معا، ولا تحيله مسخا، أو نسخة مشوهة عن دراسات الغرب، بفعل إخراجه من منظومته الفكرية الإسلامية، التي سيفقد حتما كل مقومات العيش إن تمّ اجتثاثه من تربتها.

وأهم ما يمكن تسجيله في دراستنا للنظرية الخليلية الحديثة، للعلامة "عبد الرحمن الحاج صالح"، هو تعلقها بالتراث العلمي اللغوي الأصيل، الذي خلفه العلماء العرب المبدعون، الذين عايشوا الفصاحة اللغوية الأولى، وشافهوا فصحاء العرب، وجمعوا اللغة، ودونوها، خدمة للنص القرآني المقدس، الذي كان يحتاج إلى الفهم، والتفسير، والتعليل، في ضوء اللغة العربية النقية. وهي كلها معطيات تجعل من عمل هذا العلامة يصب بشكل مباشر في أسلمة المعرفة، التي باتت ضرورة، لا تقف عند حدود العلوم، وإنما تتجاوزها إلى الهوية والذات والوجود.

1. علاقة النظرية الخليلة الحديثة بالتراث اللغوي العربي وأهم مفاهيمها:

أ. علاقة النظرية الخليلية الحديثة بالتراث اللغوي العربي :

النظرية الخليلية الحديثة نتجت عن جهود متواصلة لرائدها العلامة الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح، حيث بدأ في التفكير فيما يقوله الخليل و هو طالب في الجامعة الأزهرية، وراح يقارن بين ما أطلع عليه في كتاب سيبويه آنذاك من أقوال الخليل و ما قراه و كان يقرأه على شيوخه، فوجد فروقًا كثيرةً بين ماذهب إليه الخليل و سيبويه وبين ما يقوله المتأخرون من النحاة[1].

يقول الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح في مقال له بعنوان المدرسة الخليلية و الدراسات اللسانية الحديثة في العالم العربي :"قد حاولنا منذ ما يقرب من ثلاثين سنة أن نحلل ما وصل إلينا

من تراث فيما يخص ميدان اللغة و بخاصة ما تركه سيبويه و أتباعه مِنْمَنْ ينتمي إلى المدرسة التي سميناها بالخليلية، وكل ذلك بالنظر في الوقت نفسه في ما توصلت إليه اللسانيات الغربية، و كانت النتيجة أن تكوّن مع مرور الزمان فريق من الباحثين المختصين في علوم اللسان بمعناها الحديث يريد أن يواصل ما ابتدأه الخليل و سيبويه و مَنْ تابعهما ، و لكن بعد التمحيص لما تركوه من الأقوال و التحليلات ، أي بعد التحليل النقدي الموضوعي لها "[2].

فهذه النزعة في الحقيقة هي امتداد منتقى للآراء و النظريات التي أثبتها النحاة العرب الأولون وخاصة الخليل بن أحمد ، و في الوقت نفسه مشاركة و مساهمة للبحث اللّساني في أحدث صورهوخاصة البحث المتعلق بتكنولوجيا اللغة، أي هي عملية التوفيق بين القديم و الحديث بعد ترميم النظرية العربية القديمة لتستجيب مع آخر ما توصلت إليه الدراسات الحديثة بظهور علم المعلوميات[3].

إذن فالعلاقة وطيدة بين المدرسة الخليلية الحديثة و التراث اللغوي العربي و يظهر ذلك جليّا من خلال الفهم العميق للتراث العربي مع الإحاطة و المتابعة لما يجري و ينتج من دراسات لسانية غربية هذه المعادلة أنتجت لنا هذه المدرسة و التي كان من ثمارها " النظرية الخليلية المصوغة صياغة رياضية منطقية مبنية على مفاهيم و تصورات قد لا يوجد في اللسانيات الحديثة ما يماثلها بل و قد تفوقها إلى حد بعيد"[4].

فهذه المفاهيم و المبادئ التي استخدمها الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح ، من النظرية اللغوية العربية القديمة كوصف نقدي هي في حقيقة الأمر نظرية ثانية -META THEORIE– بالنسبة للنظرية الخليلية"[5].

و في الصفحات الموالية سنتطرق إلى أهم هذه المبادئ والمفاهيم التي بنيت عليها.

ب. أهم مفاهيم النظرية الخليلية الحديثة:

تعتمد النظرية الخليلية على جملة من المفاهيم التي اكتشفها النحاة العرب الأوائل أمثال الخليل وسيبويه بعضها توصلت إليها اللسانيات الغربية الحديثة وبعضها ما زالت لم تعرفه وهي:

- **المثال مفهوم عربي لا مقابل له في اللسانيات الغربية Schème Générateur:**

"وهو مفهوم اعتباري منطقي رياضي"[6] كونه الحد الإجرائي الذي تتحدد به العمليات المحدثة للوحدات،وتنتج عنه صورة تفريعية طردية عكسية تنطلق من أصل إلى ما لا نهاية له من الفروع ،والمثال نجده في كل المستويات،في أدناها كمستوى الكلمة (وهي المكون للفظة)، ومستوى التراكيب الذي هو فوق اللفظة،وفي مستوى أبنية الكلام،وهكذا فإنّ النحو حسب أصحاب النظرية الخليلية كله مُثُل تبنى عليها كل وحدات اللغة إفرادا وتركيبا،وعلى هذا فمثال الكلمة هو وزنها

والعلاقة التي تربط بين عناصر الكلمة هي علاقة بناء لأن حذف أي عنصر يقتضي زوال هذه الكلمة،مثل حرف "مُ"في كلمة "مُكرم"[7].

والبناء هو العملية التي تركب بها العناصر ،وتركيب أي عنصر يخضع لمقاييس مضبوطة في صورة حدود إجرائية تسمى المثال،وقد ضبط النحاة الأوائل مقاييس للحصول على جميع المثل،وهو ما يعرف عندهم بقسمة التراكيب Combinatoire .مثلا على مستوى الكلمة نأخذ:كَتَبَ،خَرَجَ،ضَرَبَ على وزن فَعَلَ.

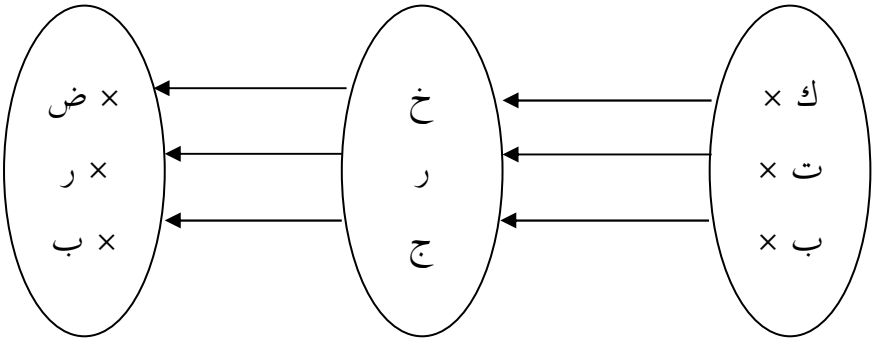

الصامت الأول نمثله بـ (ف)والصامت الثاني بـ(ع) والثالث بـ (ل) وبهذا نكون قد حملنا مجموع (مج) على (مج) لنستخرج البنية (فَعَلَ) ونستطيع أن نغير المثال في كَتَبَ لا الأصل كمايلي:

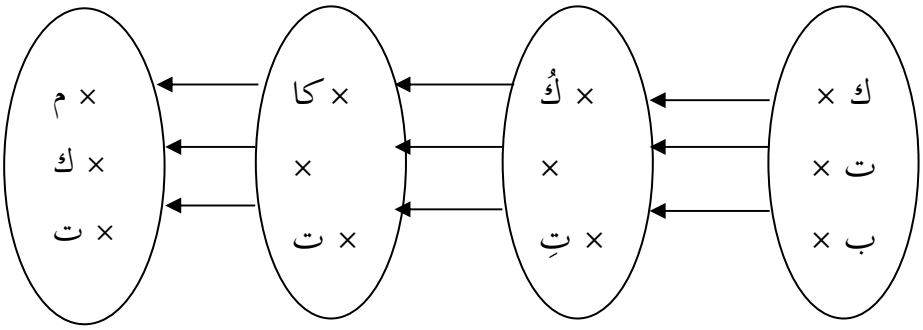

نربط بين العناصر المتشابهة لنحصل في الأخير على الأوزان التالية :فَعَلَ،فُعِلَ ،فَاعِلْ،مَفْعَلْ والرابط الموجود بين هذه المجموعات هو ف ع ل (المادة الأصلية) لأن هناك زوائد أخرى تدخل عليها،فهذه العملية تسمح باكتشاف المشابهة بين عدة عناصر أو وحدات لغوية تسمى بالاستنباط ،وهو استخراج البنية بعملية القياس.و هو قياس عربي أصيل لا يمت بصلة لقياس أرسطو (وهو أن تحمل كل ما ينتمي إلى جنس أو فئة معينة من العناصر اللغوية بعضه على بعض حتى يمكن أن يتضح تكافؤها في البنية)[8]، و المثال لا ينحصر في مستوى المفردات (أوزانها) بل يتعداها إلى ماهو أعلى منها،وهو مستوى اللفظة.

ج. الموضع والعلامة العدمية ومفهوم اللفظة:

لقد انطلق النحاة الأوائل في تحليلهم للغة من أصغر قطعة في الكلام مما يمكن أن يبتدأ به وينفصل وهو اللفظة la lexie وهي أقل ما ينطق به من الكلام المفيد.و تنطلق اللفظة من أصل الذي يقبل الزيادة التدريجية على المحورين الاستبدالي والتركيبي، وفي الاتجاهين أي زيادة طردية وللعملية عكسها أي رد الشيء إلى أصله. والشيء الذي يمكن ملاحظته في موضع اللفظة ما يلي:

- أن لكل جزء من اللفظة موضعا خاصا وهذا الموضع عبارة عن خانات تتحدد بالانتقال من الأصل إلى مختلف الفروع بالتحويلات التدريجية، كما أن الموضع يبقى كجزء من البنية إذا خلا أو استبدل بشيء آخر مما يدخل فيه.

-أن خلو الموضع من العنصر له ما يشبه وهو"الخلو من العلامة""أوتركها"[9] وهو ما يطلق عليه الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح بالعلامة العدميةmarque zèro وهي التي تختفي في موضع لمقابلته العلامة ظاهرة في موضع آخر مثل علامة التذكير في مقابل تاء التأنيث،والعلامة العدمية نجدها في كل مستويات اللغة.

- هناك تعاقب أفقي في اللفظة الاسمية أي التعريف يتعاقب مع التنوين والإضافة،وهناك تعاقب عمودي بين التنوين والإضافة،يقولسيبويه"إن المجرور داخل في المضاف إليه معاقب للتنوين "[10]فالنظرية الخليلية تنظر للمحورين التركيبي Axe syntagmatique والاستبدالي Axe paradigmatique في آنٍ واحد دون الفصل بينهما.

-الإطالة/Récursivité :إن موضعي الصفة والمضاف إليه تحدث فيهما الإطالة،وتعني تكرار العناصر فيهما إلى مالا نهاية كما في المثال:موضع المضاف إليه (الغد)في(رجل الغد)يمكن أن يكرر(رجل قام أبوه أمس).وفي العربية توجد لفظة اسمية ولها حد واحد،ولفظة فعلية ولها ثلاثة حدود والتي سنتطرق لها في الفصل الموالي.

د. الانفصال و الابتداء

ينطلق العرب من أقل ما ينطق به مما ينفصل و يبتدأ (ينفرد) و يسميه سيبويه الاسم المظهر أو الاسم المفرد الذي يُسكت عليه ، و الانفصال معناه لا يلحق به شيء ، و الابتداء معناه ليس قبله شيء ، و الانفصال و الابتداء يساوي الانفراد ،[11] و معنى ذلك أن كل وحدة لغوية قابلة للانفصال عما قبلها أو ما بعدها و كل وحدة يمكن الابتداء بها أو الوقوف عليها حسب موقعها في الكلام و يمكن أن نصنف الوحدات اللغوية حسب هذا المقياس إلى :

3-أ)-وحدات يبتدأ بها فتنفصل عما قبلها و لا يوقف عليها مثل (إلى) في عبارة (إلى المؤسسة)

3-ب)-وحدات لا يبتدأ بها أي أنها غير قابلة للانفصال عما قبلها و يوقف عليها مثل الضمير المتصل بالاسم أو الفعل (كتابه ، ذهبت) .

3-ت)-وحدات يبتدأ بها فتنفصل عما قبلها و يوقف عليها فهي منفصلة عما بعدها مثل عبارة (التلميذ) للجواب عن سؤال من كتب الدرس؟

كما يوجد معيار آخر وهو معيار التمكن، و يعني أن القطعة يمكن أن تحتمل عددا من الزيارات على اليمين و اليسار على صورة التعاقب، و الاسم المظهر في العربية أكثر الكلمات تمكنا ، و يقول الخليل بلسان سيبويه :"إنّه لا يكون اسم مظهر على حرف أبدا لأن المظهر يسكت عنده و ليس قبله شيء و لا يلحق به شيء "[12] فهو ذلك الاسم الذي "ينفصل ويبتدأ" و بالتوالي فالاسم المظهر (النواة = الأصل) هو الذي يقبل الزيارة يمينا و يسارا دون أن يفقد وحدته.

ويقول الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح أن مفهومي الانفصال والانفراد تمكّنان الباحث من استكشاف الحدود الحقيقية التي تحصل في الكلام ، فهذا المنطلق عبارة عن وحدة لفظية لا يحددها إلا ما يرجع فقط إلى اللفظ ، ووحدة إفادية لأنها يمكن أن تكون جملة مفيدة ، فهي تحتل مكانا يتقاطع فيه اللفظ مع المعنى أو البنية بالإفادة .[13]و انطلاقًا من مقياسي الإنفصال والابتداء و التَّمكُن يُمكِننا وضع الحدود الإجرائيةللاسم والفعل مبنية على مبدأ الأصل و الفرع الذي يتحكم في توليد الوحدات اللغوية داخل النظام[14].

4-مفهوم الأصل والفرع:

ميّز النحاة العرب قديما بين مفهومي الأصل والفرع، والأصل عندهم "ما يبنى عليه ولم يبن على غيره" وهو أيضا ما يستقل بنفسه - أي ما يمكن أن يوجد في الكلام وحده، والفرع هو الأصل مع زيادة أي مع شيء من التحويل ؛ فالأصل عندهم هو العنصر الثابت،أما الفرع فهو الأصل مع زيادة إيجابية أو سلبية، فيقولون عن المفرد أصل للمثنى والجمع ؛ والمذكر أصل بالنسبة للمؤنث . يقول سيبويه "لأن الأشياء كلّها أصلُها التذكير"[15]والاسم أصل بالنسبة للفعل والحرف، لأن الأسماء أكثر تمكنا من الأفعال والدليل أن الفعل يحتاج إلى اسم وبدون اسم ليس هناك كلام وأن الاسم يمكن أن يظهر وحده دون حاجة إلى فعل.

ويذكر الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح في هذا الصدد "أما تقديم الأصول على الفروع فلأن الأصول تمتاز عن فروعها ببساطتها لفظا ومعنى ولأن الانتقال من الأصل إلى الفرع هو تحويل طردي فتقديمه على التحويل العكسي (رد الفرع إلى أصله)هو مناسب لمسيرة التطور العربي"[16].

كما بين النحاة العرب أن التحويل أو التصريف يكون إما بالانتقال من الأصل إلى الفروع (التحويل طردا) أو من الفروع إلى الأصل (تحويلا عكسيا) ويتم هذا التحويل على مثال سابق (ما قيس على كلام العرب) وهو ما يسمى بالقياس أو الحد .

ولم يكتف النحاة العرب المبدعون في تحليلهم على تقطيع الكلام إلى وحدات بنوية،بل تجاوزه إلى النظر في كيفية حدوث هذه الوحدات، ووصلها وإدراجها في سياق لفظي متسلسل،حتى يكتشفوا العلاقة التي تربط هذه الوحدات في مدرج الكلام، و هكذا تميزت نظريتهم بالحركية والديناميكية.

وكما أن اللفظة الاسمية أو الفعلية مثال كذلك نجد المثال في مستوى التراكيب و يتكون التركيب الأصلي من لفظتين مثل "زيد منطلق" و العلاقة التي تجمع بينهما هي علاقة بناء لا وصل و بالتالي حذف إحدى اللفظتين المبنى أو المبني عليه يؤدي حتما إلى زوال التركيب[17] .

و يمكن حمل التركيب الأصلي على باقي التراكيب الفرعية لنتحصل على ما يلي :

[1] # [زيد/ -ُ/ ن] [منطلق/ -ُ /ن] (يا فتى) #

[2]# [منطلق/ -ُ/ ن] [زيد/ -ُ/ ن] (فاعلم) #

[3]# [ضربت [عمرا] (يا فتى) #

[4]# [عمر /-َ/ ن] [ضربت] (فاعلم) #

[5]# إن زيدًا منطلقٌ#

[6]# كان زيدٌ منطلقًا #

[7]# كان منطلقًا زيدٌ#[18]

إذن بعملية الزيادة للتركيب [1] فتحصل على التراكيب الفرعية [5]،[6]،[7] وبحذف العناصر الزائدة نتحصل على التراكيب [1]،[2]ونستنتج أن التراكيب [5]،[6] تفرعت عن [1] وعن [2] بزيادة "إنّ" و"كان" وهناك زوائد أخرى لها نفس تأثير إنّ، وهم أخواتها وكذلك زوائد أخرى لها نفس تأثير كان، وهم أخواتها ...إلخ وهذه الزوائد تسمى بالعوامل اللفظية وتؤثر على التركيب من حيث علامة الإعراب، فدخولها أو خروجها لا يؤثر على اللفظين لأن العلاقة التي تربطها باللفظتين هي علاقة وصل ، وبالتالي فحذفها لا يؤدي إلى زوال التركيب، ونلاحظ أن علامة الإعراب تحتل موضع في المثال تتغير بدخول وخروج العامل على التركيب، فالتركيبيين [1]، [2] هما الأصل والتراكيب الفرعية هي [5]، [6]، [7] لها نفس المثال وكذلك التركيبين [3]، [4] فهناك إذن علاقة بناء بين هذه اللفظات المكونة للتراكيب [1]، [3]، [5]، [7] والتركيبين [5]و[6] تفرعا عن التركيب [1] عليه نحصل على :

# [1]	Ø	زيد / -ُ/ ن	منطلق /-ُ / ن	#
# [5]	إنّ	زيد / -َ/ ن	منطلق / -ُ / ن	#
# [6]	كان	زيد / -ُ / ن	منطلق / -َ / ن	#
# [3]	ضرب	ت	عمرا	#

وبالتالي فالحمل يُظهر العلاقة البنوية التي توجد بين هذه التراكيب، و الموضع الذي يشغله كل من "إن" و "كان" و "ضرب" فارغ في التركيب [1]، ويعني هذا أن [1] يحتوي بالمقارنة مع باقي الزوائد أو العوامل العلامة العدمية Ø والتي تدل على أن العامل لا لفظ له، وهو الذي يسميه النحاة الأوائل بالابتداء ويسمى التعرية من العامل اللفظي [19]، والعامل يؤثر على كل من المعمول الأول والثاني من حيث العلامة الإعرابية وبدون عامل لفظي أو معنوي فليس هناك بناء، وقد لا حظ النحاة الأوائل أن المعمول الأول لا ينبغي أن يسبق العامل.

كما يمكن حمل التركيب الفعلي على التركيب الاسمي للحصول على مثال واحد يجمعها، فنجد في التركيب الفعلي أن الفعل لابد له من فاعل وهذا الأخير لا يمكن للمعمول الأول أن يتقدم على العامل "الفعل" ونضع الفعل موضع الابتداء والعوامل الأخرى التي تقوم مقامه، فيصير الفعل عاملا والفاعل المعمول الأول والمفعول به المعمول الثاني، فهذه المجموعة من المكونات التركيبية :ع/م1/ م2 تكون نواة البنية اللفظية في مستوى التركيب وهناك عنصر خارج النواة يعتبر زائد يمكن حذفه ويشمل جميع الفضلات المنصوبة كالحال والتمييز والمفاعيل الأخرى، ويرمز له بحرف (خ :مخصص) وبالتالي تكون الصيغة [ع >م1، م2] يمثل مثال مستوى التركيب وعليه فإن كل واحد من هذه الرموز ع/م1/م2/خ يمكن أن يحتوي على كلمة أو لفظة وهي فوق مستوى الكلمة، وعلى بنية تركيبية مثل: (ع/م1) م2 /خ.

كما نجد أن هناك مثالا يخص مستوى ما فوق أبنية الكلام ويتمثل في مستوى التصدير، وصيغتهكمايلي :عـــ← م 1، م2، ويوجد في العربية أدوات لها الصدارة في الكلام لا يمكن أن تسبق بأي عنصر من العناصر، وهي عوامل توجد في مستوى أعلى وتتحكم في كل ما يوجد تحتها، ويسميها سيبويه بالاستئناف [20].ولا يكون لها بالضرورة عمل على ما تدخل عليه كأدوات الاستفهام، في مقابل الصفر كعلامات للإثبات وأدوات التوكيد، وأدوات الشرط، وبعض هذه الأدوات تُغطي أكثر من موضع مثل "هل" لأنها لا تقوم مقام الهمزة "أ" في عبارة "ألم تخرج" "أسيخرج؟ "أ إن خرجت عاقبتني" وهذا يعني أن "هل" تشغل ثلاثة مواضع، موضع "أ"، وموضع "سـ"، وموضع "إن"[21].

أما الموضع الثاني تتعاقب فيه أدوات الشرط ويستلزم الكلام المسبوق بأداة الشرط كلامًا آخرًا يكون كالمبني على الكلام المسبوق ويكون معلقًا بالأول غير مستغنٍ عنه مثل "إن تخرج أخرج" وقد صاغ الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح هذه العناصر كمايلي :

*) التعليق:

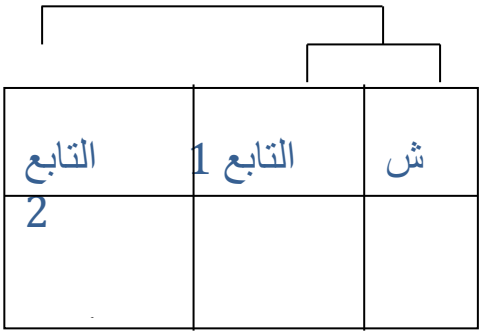

العلاقة التي تربط العامل المطلق بمعموليه هي علاقة بناء بمنزلة الاسم على المبتدأ أو تسمى هذه العلاقة تعليقا ، أن المعمول الأول و المعمول الثاني مجزوما إذا كانا في صيغة المضارع ، كما أن الفعل الأول يتأثر مباشرة بالعامل "إن" بينما المعمول الثاني فإنه يتأثر بـ "أداة الشرط+المعمول الأول": (إن تخرج) كما أن العبارة الأولى لا يمكن أن تستقل بنفسها ، لا بد أن تتبع بالمعمول الثاني ،فلا يمكن الفصل بينهما كما في البنية التركيبية (ع ←Øم1) و م2، وعليه فالتعليق نوع من البناء و لكن في مستوى أعلى22 .

و لا يجوز إطلاقا للمعمول الثاني في المستوى الأعلى أن يتقدم على العامل "ع" أو على المعمول الأول "ه1"،كما أن الكلام المسبوق لأداة الاستفهام لا يحتاج إلى م2، و مثَّل الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح هذه العناصر كالآتي:

ع		م1			م2			
س	ش							
أ	-	ع	م1	م2	ع	م1	م2	
		خرج	زيد	-	-	-	-	
-	إن	خرج	زيد			عاقبته		
أ	إن	ضرب	زيد	عمرًا		عاقبته		
-	إن	لم يخرج	زيد		تأخر	Ø	عن موعده	

ومما سبق ذكره يتضح أن النحاة العرب الأولين قد انطلقوا في تحليلهم للغة من مستوى اللفظة لأنه المستوى المركزي ومنه انطلقوا إلى ما فوق وما تحت (اللفظة).

وقد أثبت اللسانيات العربية عند تحليلها للغة المستويات التالية : 23

المستوى 6	الحديث أو الخطاب
المستوى 5	أبنية الكلام أو البنى التركيبية
المستوى 4	اللفظيات (ج لفظة)
المستوى 3	الكلم أو الكلمات
المستوى 2	الدوال
المستوى 1	الحروف
المستوى صفر 0	الصفات المميزة للأصوات

- المستوى صفر (0):وهو الذي تحدد فيه الصفات مثل الجهر والهمس والشدة والرخاوة والإطباق والانفتاح ...إلخ ، وكذلك تحدد فيه المخارج انفي، أسناني، شفوى....إلخ .

- المستوى (1):وهو الذي ينتج عنتركب الصفة بالمخرج في المستوى الصفر لينتج بذلك الحروف.

- المستوى (2):وهو مستوى الدوال وهي أربعة:

أ-**المادة الأصلية** :وتتكون من حروف المعجم.

ب-**الصيغة أو الوزن**:وهي القالب الذي تفرغ فيه المادة الأصلية، فالصيغة إذن هي كيان مجرد.

جـ-**حروف المعاني**:يعرف عند العرب بالكلمة، وظيفتها تخصيص دلالة الأسماء والأفعال كحروف الجر ....إلخ.

د-**ترك العلامة**:وتظهر في جميع مستويات اللغة نحو (مقابلة المذكر بالمؤنث)

- المستوى (3):وهو مستوى الكلم الذي عرفه سيبويه بقوله "فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل"[24] وهو قسمان متمكنة وهي التي تنفصل بنفسها في مدرج الكلام ويبتدأ بها ويوقف عليها كالأسماء والأفعال المتصرفة ، وغير متمكنة وهي التي تحتاج إلى غيرها ولا تكتفي بنفسها كالأدوات وحروف المعاني والأفعال الناقصة ، وغير المتصرفة.

هذه هي المستويات الموجودة تحت اللفظة أما المستويات فوق اللفظة فقد سبقت الإشارة إليها.

خاتمة:

يتضح لنا من كل ما سبق أصالة النظرية التي استبطنها الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح من مظانها التراثية، وأنه رغم آلياته اللسانية المعاصرة التي استجلبها لمقاربة التراث فإنه سعى إلى أسلمة تلك المعارف الستقاة، من خلال إعطائها الخاصية والخصوصية العربية والإسلامية، التي تسمح لها بالتأقلم مع المدونة المدروسة من جهة، وتتيح للدرس التراث قبول هذه الآليات، فلا يلفظها باعتبارها جسما غريبا عنه ولا يحمل خصائصه الفكرية وخلفياته المعرفية، وهو ما يصب فيما يسمى أسلمة المعرفة.

- هوامش المقال

[1]د-عبد الرحمان الحاج صالح ،النظرية الخليلية الحديثة (القدامى من النحاة و المتأخرون)،مجلة اللغة والأدب ،الجزائر ،1996،العدد 10 ، ص 85.

[2] -مبادئ في اللسانيات، ص 136.

[3]-د- مقالات لغوية ،ص 39 .

[4] -د. عبد الرحمان الحاج صالح ، مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية و ضرورة استثمار التراث الخليلي بحث القي في ندوة نظمها المعهد العالي للحضارة الإسلامية بوهران، (نوفمبر 1998) ،ص 01.

[5] -مبادئ في اللسانيات ،ص 141.

[6]-مقالات لغوية ، ص 44 .

[7]- Hadj Salah A ,.Linguistique arabe et linguistique générale. Essai de méthodologie et d'épistémologie du Ilm Al Arabiyya ,these d'état , Paris , 1979 ,T2 , P 175 .

[8]-عبد الرحمان الحاج صالح،مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية وضرورة استثمار التراث الخليلي،بحث ألقي في ندوة نضمها المعهد العالي للحضارة الإسلامية بوهران،نوفمبر1998،ص7.

-Hadj Salah A,LINGUSTIQUE ARABE ET LINGUSTIQUE GENERAL P143.

[10]-الكتاب،ج/1،ص14.

[11]- Hadj Salah A ,.Linguistique arabe et linguistique générale , p 157.

[12] -الكتاب ، ج/4 ، ص 218 .

[13] -د.عبد الرحمان الحاج صالح ، "المدرسة الخليلية الحديثة و الدراسات اللسانية الحالية في الوطن العربي" ، ص 14-15.

[14] -نفس المرجع ، ص 15 .

[15]-الكتاب ، ج/3 ، ص 241 .

[16]-د.عبد الرحمان الحاج صالح ، أأثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية ، ص 64.

[17]- HADJ SALAH A ,Linguistique Arabe Et Linguistique Générale P 196 .

[18]-HADJ SALAH A ,Linguistique Arabe Et Linguistique Générale P 196 , 205.

[19]-HADJ SALAH A ,Linguistique Arabe Et Linguistique Générale , P 198.

[20]-.HADJ SALAH A ,Linguistique Arabe Et Linguistique Générale , P 262.

Même référence , P 261.[21]-

[22]-HADJ SALAH A ,Linguistique Arabe Et Linguistique Générale , P263 .

[23]-مبادئ في اللسانيات ، ص 95.

[24] -الكتاب ، ج/1 ، ص 12.